عاصفـــــــة فى قلب

« مهداة إلى الأخ العزيز الأستاذ عبد الله عباس
بمناسبة تخرجه من كلية الحقوق العراقية »

بدأ صاحبي حديثه بقوله :

« قالت زوجتى وأنا أهم بالخروج من المنزل : احضر لى هذا المساء عباءة حريرية ، يجب أن تكون حريرية . . . لأن جاراتى فاطمة وعائشة وبدرية وغيرهن يتمتعن بأعبية حريرية وأنا ما زلت متسربلة بعباءة قديمة تنقص قيمتى وتخدش كرامتى .

وسامحها الله كأنها تتناسى أن زوج فاطمة موظف كبير فى الحكومة يزيد دخله على راتبي الضئيل بعشرات المرات وزوج عائشة تاجر يربح فى الشهر أضعاف ما أربحه فى السنة أما بدرية فزوجها عامل فنى يدر عليه عمله بمئات الروبيات شهرياً . . وأما أنا . . أنا المسكين الذى يلقى إلى رئيسى مائة روبية شهرياً كما يلقى القصاب قطعة من اللحم لكلب من الكلاب . .

فكيف أستطيع أن أعطيها ما تريد وأسعدها كما يسعد الآخرون زوجاتهم ، ولست أدرى لم تضايقنى هذه المرأة وتحاول دائماً إزعاجى بينما أسعى جهدى لإرضائها وإدخال البهجة إلى قلبها . ولست أدرى مرة أخرى — كيف يقضى بقية الأزواج حياتهم ! هل يقضونها كما أقضيها ؟ وهل يعانون ما أعانيه ؟ أم أنهم يعيشون فى هناء وسعادة . لقد كنت قبل الزواج مرتاح البال هادىء النفس وهأنذا الآن أنشد الراحة فلا أجدها وأبحث عن السعادة فلا أرى لها أثراً . لقد كان الأمل الذى عقدته قبل الزواج ويا للأسف سراباً خداعاً لاح لناظرى فزين لى الحياة الزوجية ، وما كدت أرتبط برباط الزواج المقدس — كما يسمونه — حتى تبدد الأمل وتلاشى .

وصممت على شراء العباءة ، وكيف لا وأمرها مطاع . وإن أطعت لها أمراً فلأجل الطفل المعذب الذى ما زال فى العام الأول من حياته ، فإن وقعت القطيعة بيننا فإن حياة الطفل فى خطر .

ولكن كيف أستطيع الحصول على هذه العباءة وقيمتها ثلاثون روبية ولم يبق من الراتب سوى عشر روبيات وما زلنا فى منتصف الشهر . لقد دفعت أربعين روبية أجرة للمنزل الذى يأوينا وسددت بثلاثين روبية بعض الديون التى تراكمت علينا وصرفنا عشرين أخرى للمأكل والملبس ، ولم يبق من الراتب إلا هذه الروبيات العشر كما أسلفت . فكيف العمل ؟ وبأى وسيلة أستطيع انقاذ نفسى من هذه الورطة ؟ وخطر لى خاطر . . ألم يقل لى صديقى عبد الله أنه مستعد لإعطائى ما أريد ؟ وأحمد . . أما أصر مراراً على أن يقرضنى مبلغاً من المال أحسن به حياتى العائلية ؟ وفهد . . وهل أنسى كلماته الطيبة وهو يقول إن هذا الصندوق تحت تصرفك فاطلب ما تشاء . إذن سأذهب إلى أحد هؤلاء الأصدقاء وأقترض المبلغ على أن أرجعه فى مطلع الشهر القادم وقادتنى قدماى إلى محل صديقى فهد ، وأنا مرتبك كل الارتباك ودقات قلبى تتزايد ، وأخذت أبتلع ريقى بعسر كأننى مقدم على ارتكاب جريمة من الجرائم . ودخلت المحل فى هذه الحالة . لقد كان المحل حافراً بالرواد ، فسلمت وجلست ورحب بى صديقى أحسن ترحيب ، بيد أن القلق أخذ يساورنى أكثر من السابق . . وكيف أقوى على مفاتحته فى الأمر ؟ إننى لم أطلب منه روبية واحدة فى يوم من الأيام فكيف أجسر على طلب ثلاثين روبية منه ؟ وإذا اعتذر ماذا يحل بى وكيف أستطيع مواجهته بعد ذلك ؟ ولكن ألم يبد هو رغبته مراراً بمساعدتى ؟ فلم التخوف إذن ؟

وانتظرت حتى يتفرق عقد الجماعة ويخلو المكان . وبقيت على حالتى تلك حتى الظهر ثم فاتحته فى الأمر ، فابتسم ابتسامة غريبة لم آلفها منه سابقاً وقال : « أرجو المعذرة ياعبد القادر لأننى محتاج إلى المبلغ فى هذه الأيام وإذا انتظرت أسبوعاً فقط . . سأعطيك ما تريد » .

لقد صدمتنى هذه الكلمات وكانت بمثابة سهام ماضية وجهت إلى قلبي الواهن وأظلمت الدنيا فى عينى وتغيرت أحوالى ، ثم ودعت صديقى وخرجت أتعثر بأذيال الخيبة والفشل . وحلفت ألا أذهب إلى أحد من الأصدقاء لأنهم لا يختلفون عن ذلك الشخص أبداً . . . كلام معسول ، وصداقة واهية لا تتعدى المجاملات ، ولا يعلم إلا الله ما تكنه القلوب . خرجت متألماً وأنا أكفكف دموع الخيبة .

إذن فلمن أذهب وكيف أوجد ثمن العباءة ؟ وقلت لنفسى لم لاأذهب إلى رئيسى الذى أعمل تحت يده ؟ ولكن كيف يكون ذلك ؟ وهل يحمل هذا الرئيس قلباً كما يحمل الناس وهل يرق لبائس مثلى ؟ كلا لن أذهب إليه . لأننى أتذكر جيداً ذلك اليوم الذى توسلت إليه أن يزيد مرتبى بضعة روبيات تساعدنى على مهام العيش ، فثار وأرغى وأخذ يهددنى بالطرد من عملى إن أنا أعدت هذا الكلام على مسمعه . فما كان منى إلاأن سكت وانسحبت من وجهه بأمان .

وواصلت السير وأخذت أفكر فى العباءة ، ولم يبق لى سوى زميلى فى العمل عبد الحميد وهو شاب طيب نبيل . وما كادت الفكرة تختمر فى مخيلتى حتى ذهبت إلى منزله وكان الوقت ظهراً والطريق خال من المارة وشمس أغسطس تصلى شارع « دسمان » بشواظها المحرق . فطرقت الباب وخرج إلى وعلى وجهه آثار الدهشة والاستغراب ، فأخذت أشرح له القصة وأنا أجفف العرق المتصبب على وجهى بالمنديل وسرعان ما دلف إلى الداخل ليحضر النقود وآمنت حينذاك أن الفقير هو الذى يرق للفقراء أما الغنى فلا يشعر بما يعانيه جاره ويتناسى أنه يبيت على الطوى ، يفترش الأرض ويتخذ السماء لحافا .

لقد تحصلت على المبلغ ولكن أمن المعقول أن أنفقه بأسره . إن الأقمشة الحريرية تختلف عن بعضها فلم لاأشترى من النوع الرخيص لكى لا تتضعضع ميزانيتى فأظل أعانى أزمات نفسية تثقل كاهلى وتجعلنى أساهر نجوم السماء . وإذا اشتريت من النوع الرخيص هل ترضى به زوجتى ؛ إنها لاشك ستثور وتملأ المنزل ضجة وصخباً ولكنها كيف تعرف الجيد من الردىء ، إنها لم تلبس الحرير على الإطلاق فكيف تفرق بين النوعين ؟ إذن سأشترى لها من النوع الآخر .

ووصلت السوق وانتظرت حتى العصر عند مافتح الناس حوانيتهم ووقفت بجانب القماش وأخذت الأفكار تعصف فى نفسى وأخذت أكرر حسراً « الجيد أم الرخيص ؟ الرخيص أم الجيد ؟ الجيد أم الرخيص » وقر الرأى أخيراً على الصنف الرخيص وثمنه عشرون روبية . ورجعت إلى المنزل أتأبط قطعة القماش وقلبى يكاد يطفر من شدة الفرح والسرور أنها ستطرب وتملأ المنزل بهجة وحبورا . إن الحرير لا يلبسه إلا الأغنياء أما أنا فمن الفقراء وزوجتى لم يدر بخلدها أن تلبس هذا النوع . ومن يدرى ربما كانت تمزح عند ما أمرتنى بشراء العباءة ، فأصبح المزاح حقيقة واقعة . ومهما يكن من شىء فإننى أخذت أتخيل زوجتى وهى تتناول العباءة فرحة مسرورة ثم تسرع إلى جارتنا أم عبد الرزاق لتخيطها ثم ترجع إلى وتحضر لى الطعام لأننى لم أتناول طعام الغداء . ولم تنقطع هذه الأفكار إلاعند ما . . دلفت إلى المنزل وأخذت أدعوها إلى قائلا « هلمى يادلال . . إن لدى مفاجأة سارة ، تعالى يا عزيزتى . . هذه هى العباءة التى أبديت رغبتك فى اقتنائها . . إنها فوق طاقتنا ولكننى اشتريتها على كل حال . . آه لو تعلمين يا دلال ما حل لى قبل أن أتحصل على ثمنها . لقد تخلى عنى الأصدقاء الذين عقدت عليهم الآمال وأغاثنى زميل لم يدر بخلدى أنه سيمد لى يد المساعدة فى يوم ما . خذيها يا دلال واذهبى بها إلى من تشائين لخياطتها . . »

وكانت زوجتى تستمع إلى وهى جالسة ترضع الطفل . ثم وضعته على الأرض وجاءت مسرعة وأخذت تقلب القماش ثم قطبت أسارير وجهها وقالت : « أهذا هو الحرير الذى أريده ؟ أهذه هى العباءة ؟ أتهزأ بى ؟ أما تخاف الله ؟ قل لى ألم تجد أرخص من هذا القماش ؟ لقد تعبت معك يا عبد القادر أنا لا أريدها . . لا أريدها . . »

وعجبت من أمرها . . وأردت الاستفسار عن سر هذه الثورة — وإن كنت أعرفه تماماً — بيد أن سيل غضبها أخذ فى الازدياد ولم أشعر إلا والعباءة ملقاة فى الموقد تلتهمها النيران » .

فاضل خلف
الكويت

مكتبة الطلبة

أطلب منها يوميا

جريدة الزمان العراقية

وشهرياً

(الكتاب) والاديب

وجريدة كل شيء اللبنانية

كل يوم اثنين

ومجلة الاتحاد النسائي العراقي

ومختلف الكتب

العربية والافرنجية

خارطة الكويت

الآن صدرت خارطة الكويت وهي مطبوعة على ورق أبيض سميك مقاس ٧٠ × ١٠٠ (سنتيمتر) طبعاً أنيقاً بالالوان، مفصلة تفصيلا وافياً .

أطلبها من مكتبة « التلميذ »

شارع الأمير - كويت

محمد عبد الله الشهاب -- كويت

الشارع الجـــديد

MOHAMED A. ALSHEHAB

KUWAIT-NEWSTREET

IOVIAK

ROZ.BAK

MONTNEZ

VENEX

HELVETIA

جومباك

زودباك

مونتنز

فينكس

هلفتيا

أجود الساعات من أشهر الماركات السويسرية

جمال ـ متانة ـ مهاودة فى الأسعار